

أضواء البيان

@ 159 @ أي طريقاً ووسيلة تقربهم إليه لاعترا فهم بفضله . ويدل لهذا المعنى قوله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيْ يَسْأَلُونَهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } . ويروى هذا القول عن قتادة . واقتصر عليه ابن كثير في تفسيره . . .

ولا شك أن المعنى الظاهر المتبادر من الآية بحسب اللغة العربية هو القول الأول ، لأن في الآية فرض المحال ، والمحال المفروض الذي هو وجود آلهة مع الله مشاركة له لا يظهر معه أنها تتقرب إليه ، بل تنازعه لو كانت وجوده ، ولكنها معدومة مستحيلة الوجود . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَلِمْ يَدَكَ وَابْتَغِ الْوَسِيلَةَ إِلَى رَبِّكَ لَعَلَّكَ تُبْقَىٰ وَنَعْلَمَ لَكَ كَرَامَتَكَ } في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير : .

الأول أن المعنى : وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً .
أي حائلاً وساتراً يمنعهم من تفهم القرآن وإدراكه لئلا يفقهوه فينتفعوا به . وعلى هذا
القول فالحجاب المستور هو ما حجب الله به قلوبهم عن الانتفاع بكتابه . والآيات الشاهدة
لهذا المعنى كثيرة . كقوله : { وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِمْ وَفِي أذانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلُوا }
إِنَّا نَسَخَنَا عَمَلُهُمْ { ، وقوله : { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } ، وقوله : {
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ } . إلى غير ذلك من
الآيات ، وممن قال بهذا القول في معنى الآية : قتادة والزجاج وغيرهما . .

الوجه الثاني في الآية أن المراد بالحجاب المستور أن الـ يستتره عن أعين الكفار فلا يرونه . قال صاحب الدر المنثور في الكلام على هذه الآية . أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وصححه . وابن مردويه ، وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن أسماء بنت أبي بكر رضي الـ عنهما قالت : لما نزلت { تَبَدَّتْ رِجَالُكَ لِلنَّاسِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } أقبلت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول : تَبَدَّتْ رِجَالُكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ { أقبلت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول : % (مذمما أبينا . . . ودينه قلينا % . . . وأمره عصينا) % . ورسول الـ صلى الـ عليه وسلم جالس ، وأبو بكر رضي الـ عنه إلى جنبه ، فقال أبو بكر رضي الـ عنه : لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك ؟ فقال : (إنها لن تراني) وقرأ قرآناً اعتصم به . كما قال تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَلِمْ يَدَكَ بِرِجْلِكَ }

وَبَيْنَ الَّذِينَ لَآ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ خِزْيَةً جَافِيًا